

لأنها مصرية

للأستاذ ثروت أباطه

—><—

أخلى الشتاء للصيف سبيله فأقبل هادئاً أول الأمر ، ولكنه حين تمكن من القوم أصلام ما نمودوا منه مبالغاً في ذلك مفتناً فيه ونفر القوم إلى حيث يهادن الصيف ، فازدحت القطر التي تقصد الشواطئ ، وكأنما أبى الحر أن يتيح لهم متعة السفر فجعل من زحامهم عوناً له على إنجاح مهمته في إقامة مشهد من مشاهد جهنم على الأرض .

لم أكن من هؤلاء السعداء قصاد الشواطئ ففتنت بيومين أقضيهما في الريف . ولم يعرف السفر ذلك فأشتركوني في بلائهم فاشتركت مرغماً .

كان بالمقصورة ثمانية أشخاص بين رجال ونساء ، وكان لكل منهم صاحب سفر بهمس أحدهما للآخر بما يقطع به الطريق ويخفف القبط .

وظننت أنا وصاحبي أن الأمر سيقصر على الخمس ، ولكنه حين أنجحت ضجة المحطة واستبد القطار بالطريق . . علا صوت ناعم برطانة فرنسية ، فهمست إلى صاحبي :

— إنها تجيد الفرنسية إجادة أهلها لها ، وأملها أن تكون هي نفسها فرنسية .

— أما قسائنها فلا تدل على ذلك ، ورفيق سفرها كما ترى يلبس طربوشاً ، وما أظنك ترى أنه هو الآخر فرنسي .

— ومتى عرفت أن المصري لا يصاحب فرنسية ؟ وعلى أي حال إن تكن فرنسية فهي من طبقة مصرية راقية . .

— ولا هذا . . لأن الطبقة التي نتمناها لم تعد تباهي بتعلم الفرنسية كما تفعل صاحبتنا الآن . . وقد كان آتسات هاته الطبقة يباهين بتعلم هذه اللغة ليتصيدن بها الرجال . . أما اليوم وقد وجد أغنياء الحرب وتمكنوا من إدخال بناتهم حيث يتعلم الآتسات الراقيات — كما يرون أن يسمين أنفسهن — أما والأمر كذلك فلم تعد بالراقيات حاجة إلى إظهار علمهن باللغة الفرنسية ، فهي اليوم لا تدل على شيء . . وما أظن الآنسة إلا بنت

تري حرب لم يكن ليتوقع لابنته أن تلوى لسانها في فمها بلغة غير العربية . .

— والعربية الدارجة . . فحين حقق الله له شيئاً لم يكن لينظره أطلق ابنته من عقابها فرحاً بها فخوراً . . وراحت بدورها تمان على اللا — كما ترى — أن أباهما . . بائع الدجاج علمها في في « اللبسه فرنسيه » .

— لم أكن أوقع كل هذا النقاش ، ولو كنت توقعت ما افتحمت . . إذ أن صديقي لا يقتنع أبداً مهما نبين له الحق ، وكان القبط شديداً فأثرت السلامة ، وانحرفت بالحديث عن وجهته ، معتقداً أنني على حق ، ولاحظ هو ما قصدت إليه ، فأثر السلامة بدوره ، وانحرف من بالحديث معتقداً أنني على باطل وشاء القطر أن يقف فجأة . . محدثاً بذلك صوتاً عنيفاً زعم له الرجال ذعراً أخفت رجولتهم معظمه . وظهر ما لم تطق الرجولة كبتة على وجوههم ، أما النساء فقد أظهرن بكل ما يستطعن من القوة ذعرهن ، معتقدات أنهن كلها أئمن في الذعر كان ذلك أدنى إلى الأتوتة ، واسكن واحدة منهن لم يخرج بها الذعر عن الأدب تنتظر من سيده . . أماربية المدارس الفرنسية فإذا فعلت؟ لقد استنفدت السيدات الجالسات كل المظاهر التي كان يمكن أن تلجأ إليها ، ولا يصح أن تقلد واحدة منهن .

وكيف يكون ذلك وهي ابنة النني ، صاحبة الرطانة الفرنسية الصافية الخالصة . . أمي بكل هذه الأبحاد تقلد سيدات مصريات لا يتكلمن الفرنسية ؟ . . لا ودون هذا كل شيء . . أطلقتها مرخة وأتبتها بقسولة . . ولكن الحظ خانها فخرجت الكلمة « بلدية » مريجة ، وقد أرادت أن الفرنسية صحيحة . . وخرجت ساقطة تنسج إلى القفص الذي أنقل كامل أبيها قبل أن تدخل المدارس الفرنسية .

— لحاها الله ! . . لقد أخجلتني أمام صاحبي وقد كنت أدافع عنها وعن أصلها . .

نظر صاحبي إلى في شماعة . ونظرت إلى السيدة في احتقار وغيط ، وشاركني في احتقارها كل من كان بالمقصورة . . وأحست هي بهذه النظرات فألت لضيق جهادها الطويل الذي بذلته في سبيل احترامها لها . . جهاد ساعة باللغة الفرنسية .